الاستيطاني «وأمنه» العدواني. وطبيعة تلك الشراكة قد حتمت أن يكون الشريك الأكبر هو الأكثر إفادة منها، وهو ما يبدو واضحاً من حصيلة العمل الصهيوني في المنطقة؛ وأن يكون هو صاحب الكلمة الفصل والأخيرة في صنع القرار السياسي، رغم هامش الحرية الذي يتمتع به الشريك الأصغر، والذي يتناسب مع وزنه في المشروع؛ والأهم، حتمية أن يكون الشريك الأكبر هو الأكثر فعلاً في صياغة المشروع، وبالتالي تحديد طبيعته. وعليه، ولو سلمنا جدلاً أن همَّ الحركة الصهيونية الأول كان حلَّ «المسألة اليهودية» بإقامة «دولة قومية يهودية»، وكانت نية شريكها الأكبر، المركز الامبريالي، أن يجعل من تلك الدولة قاعدة متقدمة، فالأكيد أن له الغلبة. وهذا ما حصل فعلاً؛ حيث غلب طابع التكنة على سمة الدولة في الكيان الاستيطاني الصهيوني. وهذا واضح من مقارنة، ولو سطحية، بين تنامي الآلة العسكرية الصهيونية، كتعبير عن الشق الامبريالي لاسرائيل، وبين تطور باقي المؤسسات فيها، تجسيداً للشق الاستيطاني منها.

إن «عسكرة» المشروع الصهيوني لم تكن وليدة الصدفة، كما أنها ليست حديثة العهد. فبناء الآلة العسكرية الصهيونية، وتطويرها بشتى الوسائل والأشكال، قد رافق الاستيطان الصهيوني في فلسطين منذ بدايته. ففضلاً عن الفيالق اليهودية التي أعدتها ودفعتها إلى القتال في الحربين العالميتين، الأولى والثانية، إلى جانب «الحلفاء»، عمدت الحركة الصهيونية إلى إنشاء قوة عسكرية في المستوطنات في فلسطين، وإعدادها للقيام بدورها في المستقبل. وقد كان لهذه الآلة العسكرية دور مزدوج، أصبحت تهيئة مستلزمات نجاحها في ادائه تشكل الركن الأساسي في «العقيدة الأمنية» للقيادة الصهيونية. فمن جهة، كان على الآلة العسكرية الصهيونية حماية الاستيطان اليهودي في فلسطين وتوسيع رقعته والاسهام في تثبيته وتطويره، ومن جهة أخرى، كان عليها أن تعد نفسها للقيام بمهامها خارج حدود احتلالها، تجسيداً لدورها الامبريالي. ونظراً لأهمية الدور الذي أنيط بتلك الآلة، فقد جهدت قيادة العمل الصهيوني على رفدها بوسائل القوة اللازمة لها لتستطيع الاداء بنجاعة، فنمت وتطورت بشكل لايتوازى مع مؤسسات الاستيطان الأخرى؛ مما عزز عسكرة اسرائيل قلباً وقالباً. والواقع أن هذه الآلة العسكرية هي التي حسمت الصراع في فلسطين دون المؤسسات الاستيطانية الأخرى. فاحتلال فلسطين وتشريد شعبها وإخضاعه للظروف التي يعيشها اليوم، كان بفعل الآلة العسكرية الصهيونية، وليس بفعل نشاط المؤسسات الاستيطانية ونجاحها في تهويد فلسطين. والشعب الفلسطيني لم يرحل عن أرضه بسبب نجاح «الوكالة اليهودية» في إغراق البلد بالمهاجرين، فلم يعد فيه متسع لأهلها الأصليين؛ ولا بفعل نشاط «الصندوق القومي اليهودي» في استيطان البلد بكثافة لم تترك لأصحابه مجال البقاء فيه؛ ولا بسبب هيمنة المؤسسات الصهيونية على اقتصاد فلسطين بحيث اضطر شعبها للرحيل عنها؛ وإنما حصل ذلك نتيجة للعنف الفاشي الذي مارسته الآلة العسكرية الصهيونية على ذلك الشعب. وبذلك، صادرت تلك الآلة المهام التي من أجلها أقيمت المؤسسات الاستيطانية وحلت محلها. وقد استمر هذا النهج، وبوتيرة متصاعدة، خاصة بعد قيام الكيان الصهيوني. وقد لعب رئيس حكومة اسرائيل الأول، دافيد بن ــ غوريون، الدور المركزي